دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التنظيم السياسي و العمل الجماهيري
المصدر:	مجلة الطليعة
الناشر:	مؤسسة الأهرام
المؤلف الرئيسي:	ابو الفضل، محمد عبدالفتاح
المجلد/العدد:	س 2, ع 4
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1966
الشهر:	ابريل
الصفحات:	84 - 91
رقم MD:	391246
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التنظيم السياسي ، التربية السياسية ، الإعلام الجماهيري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/391246

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

يوالى عبد الفتاح ابو الفضل امين شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى مناقشة قضايا التنظيم السياسى والعمل الجماهيرى من خلال ممارسته لمسئولياته بالتنظيم السياسى

التنظيم السياسى والعمل الجماهيرى

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

يمكن تلخيص الصفات الاساسية للتنظيم الثورى الجماهيرى فى الاتى :

- هدف واضح يحدد شكل التنظيم ويحدد الصفات المطلوبة فى الكادرات .
- قيادة واعية بالهدف والاهداف المرحلية المؤدية الى الهدف العام وقادرة على طرح وتنفيذ برامج عمل محددة .
- مستوى من الوعى فى التشكيلات من القيادة الى القاعدة يتفق واحتياجات المرحلة ، ويمهد للانتقال الى المرحلة التالية . ويتناسب مع المسئولية التى يتولاها العضو او اللجنة .
- علاقة ثورية داخل التنظيم تقوم على الديمقراطية الاشتراكية والنقد الذاتى .
- مرونة تنظيمية تسمح بالتطوير المستمر لمواجهة التغييرات .

ولنناقش هذه العناصر بتفصيل اكثر ..

التنظيم يخدم الهدف

الهدف هو الذى يحدد شكل التنظيم ، بمعنى ان التنظيم يجب أن يكون فى خدمة الهدف ، واذا كان الهدف ثابتا ، فان التنظيم يقبل التعديل والتغيير على ضوء التجربة. وليس لشكل تنظيمى قدسية تدفعنا الى التضحية بالهدف فى سبيل التمسك بالشكل التنظيمى . وشعارنا فى هذا قول « القائد المعلم » اننا نقبل المراجعة ولا نقبل التراجع » . وفى حالتنا هذه فان التراجع هو تغيير الهدف ، اما تعديل الاشكال التنظيمية وتغييرها فهى المراجعة .

والهدف يمكن بل ويجب أن يقسم بدوره الى اهداف مرحلية ، ويجرى تنظيم الجماهير على اساس تحقيق هذه الاهداف المرحلية بحيث تتطابق امكانيات التنظيم مع الهدف المطلوب تحقيقه .

فالاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الام الذى يحقق الهدف العام للمجتمع كله . وعلى الطريق الى الهدف العام نجد عدة اهداف مرحلية والعديد من التشكيلات والتنظيمات الجماهيرية تحقق هذه الاهداف المرحلية، كالنقابات واتحادات الطلبة والروابط الفكرية والثقافية ، بشرط الا تتعارض مع الهدف العام أو تعوق الوصول اليه.

ولكل مستوى تنظيمى قدر مناسب من التوعية يتفق والهدف الذى نحدده للتنظيم ، فمانحتاجه لمستوى مكتب تنفيذى يختلف عن الوعى اللازم للجنة نقابية أو تنظيم نسائى أو جمعية تعاونية.

والوعى الذى تحتاجه فى مرحلة التحرر الوطنى يختلف عنه فى مرحلة الاشتراكية .

كذلك الشكل التنظيمى الذى نحتاجه فى منطقة محتلة نريد أن ننظم فيها لونا من حرب العصابات يختلف عن تنظيم العمال لانجاز الخطة الخمسية الثانية .

فاختلاف الهدف يحتم اختلاف شكل التنظيم ويحدد نوعية الوعى الذى يحتاجه العمل . فمثلا عندما بدأ العمل فى منطقة القناة فى ظل الاحتلال البريطانى كانت القيادة تجابه ظرفا خاصا حتم قيام تنظيم من نوع خاص .

كان العمل الجماهيرى تحكمه هذه العوامل :

● كراهية عامة لدى جماهير الشعب للاحتلال. كراهية لا تحتاج الى توعية أو اثارة ، بل تكاد تكون بديهية . وفى نفس الوقت سلبية متوارثة ويأس من النصر لطول عهد الاحتلال وما يبدو من تفوقه الساحق ، وشك مزمن فى جدية الحكومات ، وجدية نشاطها ضد الاحتلال ، وخاصة بعد النكسة التى اصابت حركة ما بعد الغاء المعاهدة .

● خطورة الوضع بالنسبة للسيطرة الفعلية لقوات الاحتلال ،وقدرتها على انزال ضربات قاصمة بالعاملين ، وصعوبة الاعتماد على التدخل السافر للسلطات المصرية والقوات المسلحة حتى لايصل الوضع الى المرحلة التى لا تريدها السلطة الثورية أى حتى لا ـ تدخل معركة فى غير المكان والزمان اللذين تحددهما هى :

من هنا كان يتحتم على أى عمل جماهيرى ،أن يضاعف ثقة الجماهير من خلال العمل ، وتنمية الرصيد الذى كسبته الحكومة الثورية بانجازاتها الداخلية ومواقفها الوطنية ضد الاستعمار وتجديد ثقة الجماهير فى أهمية العمل الثورى فى شكله الجديد ضد قوات الاحتلال والذى قد يبدو فرديا (اختطاف .. تخريب .. الحصول على وثائق ومعلومات .. استئصال للعملاء والجواسيس والخونة) .

ومن الناحية التنظيمية كان على العمل أن يلتزم السرية المطلقة فى تشكيله الداخلى، وفى نفس الوقت أن يمتد لينتظم فى حركته أكبر نطاق ممكن من الجماهير ، أن يحتمى فى وطنية الجماهير وأن يستفيد من امكانياتها وخبراتها وانتشارها حول وداخل قوات الاحتلال .

كانت المعادلة الصعبة هى الاحتفاظ بالسرية المطلقة للعناصر القيادية فى العمل، وفى نفس الوقت ازالة احساس الجماهير بأنها تعمل مع جماعة سرية أو مجرد نشاط حلقى بل ربط هذا العمل بالسلطة الثورية الحاكمة .

لم تكن القضية بحاجة الى توعية ضد الاستعمار ، بل كانت بحاجة الى توعية باهمية العمل الوطنى المقترح واهمية الشكل التنظيمى الذى نطالب الجماهير بالانضمام فيه ، بتدعيم ثقة الجماهير بهذا العمل . لم تكن الجماهير بحاجة الى توعية بالهدف ، بقدر ما كانت محتاجة الى توعية بأسلوب العمل واقناع بأنه هو السبيل لتحقيق الهدف .

وقد بدأت القيادة باعتقال كبار التجار المتعاونين مع قوات الاحتلال ، فهؤلاء قد ارتبطت مصالحهم بالاستعمار واستندوا لحمايته وكانوا اداته فى نهب أقوات الجماهير ، وامداد معسكراته بما تحتاجه لتواصل احتلالها .

وبعد هؤلاء جاء دور العناصر التى تمرست فى سرقة معسكرات الانجليز . كان هذا العمل من وجهة نظر القيادة هو شكل منحرف من أشكال المقاومة ، وكان عليها أن توجهه لخدمة العمل الوطنى .

وقد لجأت القيادة الى تشجيع هذه العناصر، وتطمينها الى أن جهاز الدولة لن يكون فى حماية اللص الكبير الذى يسرق ثروات الوطن واستقلاله. وبقدر بسيط من التوعية امكن ان تتفهم هذه العناصر أنها لا تفعل أكثر من استرداد بعض الفتات مما نهبه اللص الاستعمارى وانها كانت ترزح تحت استغلال كبار التجار الذين يسخرونهم فى عمليات الاقتحام ، معرضين أنفسهم للقتل والتعذيب ليفوز التجار الاثرياء بالغنائم مقابل بضع جنيهات .

وكانت الخطوة التالية هى اقناع هؤلاء بتوجيه عملياتهم وجهة تخدم الكفاح الوطنى ، بتوجيه سرقاتهم الى ما يخرب المجهود الحربى للعدو ، وتوجيه عملياتهم الى ما يساعد الحرب النفسية ضد العدو . فبدلا من سرقة الويسكى والشاى، كانت سرقات سلاح وسيارات ، وكان وضع المنشورات فى غرف زوجات الضباط ، وتعطيل المحركات ودس القنابل والمتفجرات .

وتجربة الكفاح المسلح فى القناة ، دروسها عديدة وأسرارها لم تعرف بعد .

المثال الاخر ، مثال عكسى ، هو تجربة أخطأ فيها التنظيم ، الهدف ، فانقلب عليه وبدلا من ان يكون التنظيم هو أداة تحقيق الهدف ، أصبح وسيلة الانقلاب عليه .

ففى مرحلة الثورة الاجتماعية جابهت القيادة ظروف عمل جديدة تختلف عن ظرف مرحلة التحرر الوطنى .

فبدلا من الاقتناع البديهى بعداوة الاستعمار وخطورته ، نجد أن الجماهير لم تكن مقتنعة تماما بخطر الرجعية ، بل أغرتها السهولة التى تمت بها اجراءات التأميم ، أغرتها بالاستهانة بالرجعية والتقليل من شأنها . وانعكس ذلك فى عدم الاستجابة الثورية والاستعداد لمواجهة الاحتمالات ففقدت عنصر المباغتة .

وبدلا من الشك المزمن فى جدية موقف الحكومة من الاستعمار واليأس من جدوى العمل الثورى، والمبالغة فى تقدير قوة العدو ، نجد شعورا مضادا ولكنه لا يقل خطورة وهو المبالغة فى الاستهانة بالعدو والافراط فى الثقة بالحكومة . لقد أدارت انتصارات الثورة الوطنية رؤوس الجماهير فأسكرتهم خمر النصر ونشرت السلبية بين صفوفهم ، وسادت الرغبة فى الانصراف عن العمل السياسى الى تحسين أحوالهم ، فالحكومة قادرة على كل شىء متنبهة لكل شىء ، قادرة على مواجهة أى احتمال ما دامت قد قهرت الاستعمار .

وكانت النتيجة هى انفراد الرجعية بالعمل ، وانتهازها سلبية الجماهير للانقضاض على الثورة، وتدمير الوحدة لتقيم على حطامها نظامها الاستغلالى .

وعجز التنظيم الجماهيرى وهو « الاتحاد القومى » عن التعبير عن احتياجات المرحلة الجديدة .

وبينما فى التجربة الاولى ، نجح التنظيم الثورى فى مرحلة الكفاح الوطنى فى توعية الجماهير بطبيعة المرحلة ومخاطرها ، نجد أن الاتحاد القومى قد فشل فى توعية الجماهير بطبيعة المرحلة الجديدة والتنبيه لمخاطرها . فشل فى عزل العناصر التى انتقلت الى صف الاعداء بفعل التحول الاجتماعى والاجراءات الاشتراكية، فشل فى المواجهة السريعة التى كانت تحتم عليه مع تغير الهدف ، أن يغير عناصره ، ويغير تشكيلاته وأسلوب عمله . ومن ثم عجز عن تعبئة الجماهير وتحريكها للدفاع عن مصالحها ، فتمكنت منه الرجعية وحولته من أداة فى يد الشعب لحماية ثورته الى أداة لضرب الثورة وسرقة مكاسب الجماهير . من هنا كان الانقلاب فى سوريا — ولا غرابة — يدبر فى الاتحاد القومى فى دمشق ! .

وهكذا نرى أن التنظيم اذا فقد الهدف ، وافتقر الى الوعى ، يمكن أن ينقلب على الجماهير ، بل وعلى الثورة ذاتها . انه لا يتحول الى مجرد عقبة تسد طريق الحركة الثورية بل ويمكن بمبادرة الرجعية وأعداء الثورة أن يتحول الى قوة نشطة مضادة .

فوضوح الهدف الذى أعنيه غير ما يظنه البعض بأنه طبع برنامج كامل وكتابة شعارات بليغة تعلق فى كل اجتماع، والقاء سلسلة من المحاضرات، تتكرر فيها كلمة « الاشتراكية » حتى تملها الجماهير، أو تفقد حيويتها ولا يعنى الابراق بتأييد المسئولين عقب كل قرار ثورى تصدره القيادة أو حتى تلغيه !.

ان وضوح الهدف يجب أن ينعكس فى تحديد شكل التنظيم الملائم ، ثم فى تحديد الصفات المطلوبة فى أعضائه .. وأسلوب العمل .

مثلا فى معركة القناة .. كان الموقف يحتاج — كما شرحنا — الى من يسرق وثيقة فى معسكر بريطانى أو يضع قنبلة زمنية خلف احدى الاستحكامات ، أو يغرى ضابطا — بأى اغراء — ليبعده عن المعسكر .

فهل كانت شروط العضوية لمثل هذا العمل ، هى نفس الشروط المطلوبة اليوم للعضو القيادى فى مصنع أو السد العالى ؟.

فى الحالة الاولى قد لا نتمسك ببعض القيم الاخلاقية، وربما لا اهتم كثيرا بمدى فهمه النظرى لاهمية العمل ، اذ يكفى حماسه ، اما فى الحالة الثانية فالاهتمام أساسا بوعيه وادراكه واخلاقياته. بمدى ادراكه لاهمية هذا العمل ، وارتباطه بالاشتراكية والمؤامرات الدولية التى دبرت ضده ، والتيارات العالمية والمذهبية التى تتصارع حوله .

القيادة الواعية

ننتقل الى النقطة الثانية وهى تعريف القيادة الواعية.. واعية بالهدف الاستراتيجى والاهداف المرحلية ، وقادرة على أن تترجم الهدف الى شعارات وبرامج عمل محددة .

والميثاق يعرف القيادة بأنها الاحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وايجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

كيف تحس القيادة بمطالب الشعب ؟.. من خلال المرائض والشكاوى ؟.. أبدا ، بل من خلال العيش مع الجماهير ، من خلال معاناة حياتها اليومية، أن القيادة التى ستفقد صلتها بالجماهير

اما بالعزلة الطبقية أو العزلة المكتبية أو العزلة الايديولوجية ،لن تحس باحتياجات الجماهير مهما ادعت انهامتصلة بالجماهيراوعلى وعيبمشاكلها.

يقول **الرئيس عبد الناصر** اذا بقيت القيادات فيمكاتبها تكتفيبأن تصدر تعليمات هامةللوحدات، فلن ترتبط القيادات بالوحداتولن ترتبط القيادات بالجماهير » .

ويحدثنا « **جيفارا** » عن خبرة العمل الثورى، فى كوبا ، فيحكى كيف سلموا المراكز القيادية لاعضاء الحزب فاختار هؤلاء سكرتيرات جميلات، واهتموا باجهزة تكييف الهواء ، وحرصوا على اغلاق الابواب حتى لا يفسد مفعول هذهالاجهزة، وبقى الشعبفى الخارج فىجو كوباالحار الرطب.

نعمت القيادة بالهواء المكيف ، وايضا انعزلت عن الجماهير فتحتم اسقاطها .

هذا مثال عن العزلة الطبقية ، لقد حولت القيادة مكاسب الثورة وانتصارات الجماهيرالى مكاسب شخصية وتطلعات طبقية ، عزلتها عن الاحساس بواقع الجماهير واحتياجاتها .

والقائد الجماهيرى الذى يجعل من نجاحه فى العمل السياسى والنقابى ، سلما للارتقاء الاجتماعى أو وسيلة لتحقيق تطلعاته الطبقية سيكتشف ـاخيرا ـ انهقد فقد صلته بالجماهير.

وكذلك القائد الجماهيرى الذى سيقيم بينه وبين الجماهير سدا من التعقيدات المكتبية ، والاجراءات البيروقراطية ، سيكتشف فى النهاية انه فقد القدرة على فهم لغة الجماهير ، وانهيشكو صمما يسد اذنيه عن مطالبها .

صحيح ان الغاء الابواب المغلقة ، سيعرض القيادة لسيل من المقابلات ، ولكن هذا الاندفاع الجماهيرى يعكس آثار العزلة بين القاعدة وبين القيادة ، فاذا تعودت سهولة اللقاء ، وايضا حل مشاكلها من خلال الاجهزة والقواعد التنظيمية لابالمقابلة الشخصية فان ذلكسيقضى علىالحاحها فى طلب مقابلة المسئول .

لكم أود ان أقول انه كقاعدة فالباب المغلق يخفى خلفه انحرافا ما . لولا أن نشق على المسئولين .

وايضا يجب الا يقع القائد فى عزلة فكرية عن الشعب ، فيتعصب لاراء ونظريات تبعده عن واقع الجماهير حتى يكتشف يوما أنه يتكلم لغة أخرى غير لغة الجماهير .

يجب ان يحس القائد باحتياجات الجماهير ، وان يعبر عنها . ويجد الوسائل لتحقيقها . ويجمع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

والتعبير عن احتياجات الجماهير لا يقتصر على كتابتها فى شكل مطالب فهذه هى اضعف صور التعبير ، وهى قد تكون ضرورية فى المرحلة الانقلابية عندما تقتصر مهمة القيادة على صياغة احتياجات الجماهير فى شكل مطالب ترفع الى السلطات أو بمعنى أصح ترفع فى وجه السلطات، اما فى ظل سيطرة الجماهير على قوى الانتاج وتوليها مصيرها فان التعبير عن احتياجات الجماهير يجب أن يتجسد فى تجميع قوىالشعب لتحقيقها .

وفى مرحلتنا هذه فان العمل الجماهيرىيطرح شعار الحل الذاتى والحل الذاتى لمشاكلالجماهير يعنى ان تغير الجماهير واقعها بنفسها ولا اريد أن يقتصر فهم هذا الشعار على بناء مدرسة او ردم مستنقع ، بل أن يعنى أيضا تغيير الاوضاع التى تشكو الجماهير منها ، مثل الادارة المنحرفة، أو اللجنة السلبية ، او النقابة المعطلة للعمل .

على الجماهير أنتكتشف الحل وان تنفذه هى. ويجب أن تتعود الجماهير الا تلقى بمشاكلها على عاتق السلطة وتنتظر منها الحل ، بل يجب أن تخوض هى معركة التغيير ، فانها لن تغير واقعها السيء فحسب بل ستتغير هى ايضا .

صفات القائد الجماهيرى

القائد الجماهيرى هو التجسيد الحىللاهداف والمبادىء والمثل فما من هدف أو نظرية او مبدأ أو حتى دين الا وهو بحاجة الى أن يتجسد فى اشخاص ، يصبح سلوكهم هو المثل الذى تحتذيه الجماهير وتؤمنمن خلاله بما يدعونااليه . ويعرف **ليوتشاوتشي** ، القائد الجماهيرى بانه اول من يضحى وآخر من يستمتع ونفس التعبير فى تراثنا عندما وصف أصحاب الرسول بانهم « **يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع** » اى يتدافعون للتضحية فى المواقف الخطيرة التى تثير الفزع ، ولا يقبلون على المكاسب التى تثير الطمع. وقد وصف رسول الله بانه كان أسبق الناس الى الفزع ، وأقرب المسلمين الى صفوف العدو . وهو وحده الذى ثبتفى غزوة حنين ، وكانيهتف: « انا النبى لاكذب .. انا ابن عبد المطلب » وكان لثباته الفضل فى انتصار المسلمين ، بعد الهزيمة الاولى .

وسلوك القيادة .. كما وصفها القرآن «أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

ويقول ليوتشاو تشي في صفات القائد « الولاء لجميع رفاقه وحبه لهم ولجميع الثوريين والشعب العامل ومعاملتهم على قدم المساواة وتقدير متاعبهم » .

يجب أن يدرك القائد أنه خادم الجماهير ، يعمل من أجلها ، ويملأ قلبه حبها ، ويصبر على أخطائها ، يعيش آلامها ، ويشاركها أحزانها وافراحها . ولكنه لو اقتصر على حضور الافراح والسير في الجنازات فسيكون مجاملا لا قائدا . ان الاحساس بآلام الجماهير ، والمشاركة في أحزانها وأفراحها يعني أن يهب المرؤ حياته وجهده ، ويضحي بسعاداته وراحته في سبيل تخفيف آلامها وتحسين ظروف حياتها . ان يواجهها بحقيقة متاعبها وأن يقودها من أجل ازالة هذه المتاعب .

ان الطبيب الذي يمنح العامل أجازة مرضية، لكي يفوز بصوته ، لا يحب الجماهير ولا يحس بآلام العمال ، بل يستغل هذه الالام لمصلحته . اذ لو كان يحب العمال لعرفهم أن السبيل الى القضاء على متاعبهم هو زيادة الانتاج حتى لا يمرض العمال ولا يموت أطفالهم . ولكنه يعطل الانتاج ويطيل شقاء العمال ، ليستغل ضعفهم ويشترى أصواتهم بالاجازات .

يجب أن تنتفي من القائد كل شوائب الانانية ، يجب أن يستبعد تماما مصلحته الذاتية في قراراته وعمله. واذا ما اقتفت المصلحة الذاتية فسيكتسب حصانة ضد المنافقين ، ولن يلجأ هو الى النفاق لاسترضاء المستويات الاعلى ، أو لكسب رضاء الجماهير ، اذ لن يصبح همه الاحتفاظ بمنصبه بل المصلحة العامة وحدها .

صحيح أن المصلحة الذاتية يجب أن ترتبط بالمصلحة العامة على مستوى الجماهير ، أما في مستوى القيادة فيجب أن نبدأ بتضحية المصلحة الذاتية لان القائد هو المثل والقدوة واذا بحث عن مصلحته الذاتية فسينهار العمل كله ، كذلك فان الانحراف في القيادة يتضاعف آلاف المرات في القاعدة ، والفساد في القيادة اغراءاته وامكانياته أكبر لو وجدت بذرة انانية أو جرى وراء المصلحة الشخصية .

يجب أن يتمثل القائد الجماهيري في مواجهة التطلعات الطبقية بشعار على ابن أبي طالب عندما كان يقول للدنيا « غري غيري .. غري غيري »

او كما يصفه ليوتشاوتشي « القائد لا تغره الثروة ولا ألقاب الشرف ، ولا يبعده الفقر عن مبدئه » .

ان مرحلة البناء تحتاج الى زاهدين يهبون حياتهم للعمل والبناء .

صفات الكادر

ومن تعاليم القائد المعلم يمكن أن نجمل صفات العناصر القيادية في :

- ايمان بالعقيدة الدينية . (ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التي بعثها بالحق والهدى الى الانسان في كل زمان ومكان) .
- الاخلاص التام للاشتراكية وللمبادىء الاساسية والاخلاص التام للميثاق .
- ايمان بالقيادة الثورية ، ايمان واع .. لا يتزعزع ولا يرتاب .
- الاتصال الدقيق المستمر بالجماهير .
- حد أدنى من الثقافة يمكنه من اكتشاف الامور ، بحيث يقدر أن يميز بنفسه ويكتشف ويصل دون حاجة لمرشد يعرفه ماتريده الجماهير.
- سلوك اشتراكي يتجلى في استعداده لتغير أسلوب الحياة والتفكير وفقا لمقتضيات التغيير الاجتماعي . واستعداده للتضحية بالجهد والمال.
- شجاعة ثورية تكفل تصديه للانحرافات ، وتحمله للمسئولية .
- القدرة على تحويل المواقف السلبية الى مبادىء ايجابية .
- لا يتأثر بالهزائم ولا يغتر بالانتصارات .
- احترام النفس .
- القدرة على ضبط خطوته مع تحرك الجماهير فكريا وعمليا ، فلا يلهث خلفها ولا ينعزل عنها بسبقه لها وانقطاعه عن حركتها .

كيف نختار العنصر القيادي من بين العناصر القيادية ؟

وقد يبدو اننى أفسر الماء بالماء .

أبدا .. ان التنظيمات والتشكيلات ترتكب دائما خطأ يوقع العمل الجماهيري في سلسلة لا نهاية لها من التعقيدات .

هذا الخطأ هو البدء بمعزل عن العناصر القيادية بين الجماهير .

ولا شك انه في كل مجال جماهيري عناصره القياديه البارزة التي احتلت مكانها تاريخيا . ومن الطبيعي ان يثور نفور طبيعي بين العناصر والتشكيل الجديد ، لان هذا التشكيل يبدأ بمقاييس عمل ومواصفات لكادر لا تنطبق على هذه العناصر ، وهذه العناصر بدورها تستشعر خطرا يهدد مركزها ونفوذها بين الجماهير . تبدأ عملية صراع بين التنظيم الجديد الذي يحاول ان يفرض عناصره وبين هذه العناصر التي تتمتع بالمركز التاريخي والنفوذ والثقة . انها ظاهرة نشاهدها في هذه الايام بالذات في تشكيلات الشباب ، وفي المكاتب التنفيذية .

اننا نطرح هذه القضية .. لماذا لا نكسب هذه العناصر ؟ لماذا لا نستفيد من جماهيريتها ؟ لماذا لا نحاول ان نخلقها من عيوب العمل الجماهيري في مستوياته السابقة لنسلمها بالوعي والسلوك الاشتراكي السليم ؟ لماذا لا تكون هي بداية اتصالنا بالجماهير ؟ اليس ذلك ما علمنا القائد والمعلم عندما قال في حديثه للمكاتب التنفيذية « اي شخص غير مرتبط بالجماهير غير مفيد . وهذا الشخص لا تشغل نفسك به ، ولا تضيع وقتك معه ، مهما كان علمه عالي ، فعلمه يمكن ان يفيدنا به في مجال علمي ولكن في مجالنا مجال الاتصال بالناس ـ نحتاج الى الشخص المؤمن بالناس ، المؤمن بالجماهير ـ القادر على الالتحام بالناس ، هذا الشخص يستطيع ان ينفذ الرسالة اللي بنتكلم عنها وبنعمل من اجلها . واسلوب العمل ده بنمشي بيه ايضا في المجالات المختلفة ، وانتم بتبحثوا عن القياديين بالنسبة للمحامين والاطباء والزراعيين والعمال والفلاحين والتجار بنبحث عن الشخص اللي تتوافر الصفات القيادية فيه مهما كانت قيمته الاجتماعية » .

اذن فيجب أن نبدأ من العناصر القيادية بطبيعتها بين الجماهير وبالطبع فهناك عناصر انتهازية وصلت الى مراكزها وتحتفظ بها بأساليب انتهازية .. وخلال تحطيم جماهيرية .. هذه العناصر سيبني التنظيم الجديد نفسه وينشر اخلاقياته .

ولكن هناك عناصر شريفة تتمتع بجماهيرية حقيقية نتيجة مواهبها وخدمتها للجماهير . وهذه العناصر يجب أن تحرص على كسبها بدلا من مواجهتها بعناصر التنظيم وخوض معركة لا مبرر لها .

نختار العناصر القيادية من الطبقات صاحبة المصلحة الاكيدة والمستمرة في الثورة الاشتراكية فان جذورها الطبقية تمنعها من الانحراف على أن يكون تسلحها بالوعي واستمرار ارتباطها الطبقي بالثورة هما الضمانة الاولى الاكيدة ، اذ أن شهادة الميلاد الطبقية ليست ضمانة مقدسة ضد الانحراف ، والتاريخ حافل بالامثلة عن عمال خانوا طبقتهم ، وآخرين من غير العمال وهبوا حياتهم للجماهير فاستمرار الارتباط بالجماهير هو الضمانة الكبرى والدائمة .

ـ هذه القيادة الواعية بالهدف العام والقادرة على تحديد اهداف مرحلية وتحويل هذه الاهداف الى برامج عمل محددة . كما وضحها الرئيس جمال عبد الناصر « القيادات اذا اعطت اعمال مع بعض فيجب عليها ان تحدد اسبقيات واولويات واهميه هذه الاعمال بالنسبة لبعضها . بحيث ان القيادات الفرعية تعرف ويتضح لها أيه هو العمل الاساسي اللي تعبيء فيه كل جهودها » .

فبقدر مايحدد المستوى الاعلى للمستوى الادنى واجبات عمل واضحة تكون امكانيه النجاح وايضا امكانية المحاسبة .

التوعية داخل التنظيم

لابد في كل عمل جماهيري من قدر من التوعية ، ولابد في كل تشكيل ، وعلى كافة المستويات من دراسة نظرية ، ولو في كل اجتماع ، يخصص جانب من الوقت للدراسة النظرية ، دراسة تفسر الواقع وتشرح السبيل لتغييره . يقول الرئيس « ولامانع من ان نثقف بعضنا في المكاتب التنفيذية فيمكن أن نثقف انفسنا بان نجتمع كل مرة في بيت واحد منا ونتكلم في موضوع التعاون او الاصلاح الزراعي او نتكلم في الميثاق . كل واحد منكم يمكنه عمل موضوع كل اسبوع » .

« هذا بالاضافة الى النشرات اللي بتجيلكم من القيادة . ويمكن ان كل محافظة تعمل نشرات ، على اساس ان تكون فعلا نشره تثقيفية وبحيث ان هذه النشرات المحلية لا تكون مضادة مع نشرات القيادة او مع الخط العام او الفكر الاشتراكي الخاص بنا » .

وهذه التوعية يجب ان تتناسب مع مستوى اللجنة واحتياجات العمل .

فكما ان تخلف الوعي عن احتياجات العمل يفضي الى التخبط والتلقائية ، فكذلك الاغراق في الدراسات يغرق العمل في الثرثرة ويقلبه من كفاح جماهيري الى ندوة اكاديمية فوق مستوى الجماهير .

وهذه العلاقات يمكن تلخيصها فى :

● انتخاب جميع المستويات ، الا فى ظروف خاصة يحتمها العمل كبداية التكوين او مراحل التحول حيث يصبح عنصر الاختيار ضروريا .

● خضوع اللجان القاعدية للجان القيادية خضوعا واعيا نتيجة للاقتناع .

● الوصول الى القرارات بعد المناقشة الحرة على جميع المستويات ثم اقرارها بالاغلبية ، وخضوع الاقلية للاغلبية ، وتبنى الاقلية لراى الاغلبية ودفاعها عنه كأنه رايها الخاص .

يقول القائد المعلم « يجب أن تكون الجماعة القيادية قوية ومتحدة بينها وبين بعضها بمعنى انه قد تنقسم الاراء فى اى مكتب ، وهذا سيحدث قطعا لاننا نختلف جميعا فى الاراء والمناقشات ، ولكن فى النهاية نخرج براى بعد التشاور والاقتناع » .

● حق النقد .. نقد المستويات الاعلى للمستويات الادنى ، والمستويات الادنى للمستويات الاعلى . وهذا الحق ينهار لو لم تكفل الحماية التامة للناقدين ، ويجب بتر القيادة التى تمارس أى ارهاب ضد النقد .

● النقد الذاتى .. وهو تعبير يستخدم كثيرا ، دون أن يوضح التوضيح المطلوب ، والبعض يستخدمه على سبيل مدح نفسه ، كما نسمع بعضهم ينتقد نفسه بانه صريح اكثر من اللازم ، أو أن عيبه الوحيد هو تفانيه واخلاصه ، النقد الذاتى هو نقد المسئول او المستوى التنظيمى لنفسه بالمواجهة الصريحة للاخطاء التى ارتكبها ، وتحديد أسباب هذه الاخطاء ثم اتخاذ الخطوات الكفيلة بازالة اسبابها واحيانا يتحتم أن تستقيل القيادة اذا ما كان الخطأ جسيما ، لا أن يتصرف المسئول كالاطفال فيكتفى بكلمة انا آسف وينتهى كل شىء .

● حق التصعيد والترقية الى أعلى المراكز فى التنظيم بالعمل وحده لا أن تتحول القيادة الى مراكز شرفية يحتكرها جماعة بعينها .

وقد تقدمت باقتراح باصدار شهادات بالسلوك الاشتراكى لكل من يساهم فى تجربة للعمل الذاتى ، على ان يكون عدد هذه الشهادات ضمن اسس الترشيح والتصعيد فى التنظيم .

مرونة تنظيمية

مرونة التنظيم التى تسمح بتعديل الشكل طبقا لخبرة العمل ولمواجهة احتياجات كل مرحلة وهذه المرونة يجب أن تتفادى انحرافين : تقديس الشكل التنظيمى ، وعبادة اللوائح والقوانين ولو على حساب العمل ، وضد احتياجات الواقع ، وايضا المبادرة الطائشة لتغيير التنظيم كلما تعثر العمل . أو لمجرد تجديد الامل يجب أن تحدد أولا أسباب تعثر العمل قبل أن تحمل اللوائح أو الاشكال التنظيمية مسئولية الفشل . ولنذكر دائما أن الانسان هو روح التنظيم والقانون ، وان العنصر الصالح يذلل العقبات ولا تستذله اللوائح ، وان الذى يشكو دائما من الروتين ليس بالضرورى أن يكون عنصرا صالحا .

تعبئة الجماهير وتحريكها

يهدف العمل الجماهيرى الى تحريك الجماهير لتحقيق الهدف الذى تعده القيادة الثورية .

وقد عالجناحتى الان خطوات العمل الجماهيرى الثورى ، وهى تشكيل التنظيم القادر على تحقيق الهدف ، وكذلك دور الوعى فى بناء هذا التنظيم وفعاليته . ولكن الوعى محدود فى اطار العناصر القيادية وقد وضح الرئيس عبد الناصر أن عملية التوعية لا يمكن أن تبعثر فى الهواء بل لابد أن نتحيز لها التربة الصالحة وان نتعهدها بالتنمية .

اما تحرك الجماهير فيحتاج الى تعبئة للعمل المباشر ، أى أن ننتقل بالجماهير من مرحلة السلبية الى حركة ايجابية من أجل التغيير فالتوعية تخلق الاقتناع بضرورة التغيير وامكانيته ، اما التعبئة والتحريك فهى تحويل الاقتناع الى عمل .

مثلا .. اذا ما عقدت ندوة لشرح أهداف الادخار وفوائده . من الممكن أن تجتمع الندوة ، ويلقى القادة محاضرات قيمة فى أهمية الادخار ، ثم ينفض المؤتمر ويصفق الجمهور ويرفع حنجرته استحسانا ، ثم لا فائدة لان التوعية لم تقترن بالعمل . لم نضع امام الجماهير فى صيغة محددة واضحة ما الذى نريده منها . ويمكن أن يتحقق ذلك اذا ما انتهت الندوة بلقاء بين الجماهير وموظفى البنك فى مكان الندوة يفتحون دفاتر توفير فى الحال ، أو باتخاذ قرارات للادخار العام وهو ما نعبر عنه بكسر حدة البداية أو اتخاذ الخطوة الاولى وسنعود لها بالتفصيل .

فالعمل الجماهيرى يهدف الى القضاء على السلبية وفى اعتقادى ان تعبئة الجماهير تعنى تخطى مرحلتين :

- مرحلة السلبية المعادية .
- مرحلة السلبية المؤيدة والاتكالية وذلك لنصل الى مرحلة المشاركة .

وحتى نصل الى هذه المرحلة لا بأس من أن نتفهم طبيعة واسباب سلوك الجماهير الذى يوصف بالسلبية .

السلبية المعادية : هى نتيجة سوء الظن الموروث بكل ما يصدر من اعلى بفعل الحكم الرجعى الذى استمر قرونا ، وبفعل التجربة الاستعمارية . حيث كان العداء هو ما يربط بين الحكومة والشعب وسوء الظن المتبادل هو العلاقة الوحيدة التى تحكم اى تحرك من الجانبين .

وكان رد الفعل الطبيعى الذى هدد موقف الشعب هو السلبية المعادية (يارب يامتجلى اهلك العثمانلى) أو « يا عزيز كبة تاخد الانجليز » .

وهى كما تعكس كراهية الشعب للحكم تعكس الى حد ما روح اليأس من اساليب المقاومة المستخدمة ، بل ربما اليأس من قياداته ، ولكنها لا تعكس ابدا يأس الشعب او فقدانه للثقة فى نفسه ..! إن مجرد اطلاق هذا الشعار هو مقاومة واعلان رفض الواقع السيء ، ولو بالدعاء بزواله.

السلبية المؤيدة : محورها فقدان الثقة بالنفس ، والاتكال المطلق على قدرة القيادة فى انجاز كل شيء .. الايمان بأن الحكم والقيادة ليست حرفة الشعب ولا مهمته ، وان اقصى ما يتمناه من الله أن « يولى من يصلح » ، فهو ـ اى الشعب ـ لا يطمع فى أن يشارك فى تولية من يصلح أو فى المساهمة معه فى الاصلاح .

الشعب فى هذه المرحلة يؤمن بالقيادة ويثق بها ، ولكنه لا يثق بنفسه ولا يثق فى جدية الدعوة التى تطرحها القيادة حول مساهمته معها فى العمل .

يظن أن هذه الدعوة من باب الرياء وادعاء شعبية الحكم أو فخ لاصطياده كل هذا من ميراث الشك المزمن فى الحكومات واخطر عيوب هذه السلبية هى عزل القيادة عن الجماهير وحرمان هذه القيادة من توجيهات الجماهير وتنبيهها لاخطائها فيمكن ان تقع القيادة فى اخطاء تتعارض مع مصالح الجماهير بحسن نية ودون أن تشعر ولا تبصرها الجماهير باخطائها .

ولكى نصل الى مرحلة المشاركة .. يجب :

أن تتحول الاهداف من شعارات غامضة غير محددة الى برنامج عمل واضح يقسم الى انجازات بسيطة يقتنع كل مواطن بقدرته على تحقيقها .

اى اسقاط الطابع الاسطورى عن العمل السياسى والاجتماعى والذى كان يقصد به اشاعة اليأس فى نفوس الجماهير واقناعها بانها اعجز من أن تحاوله .

يجب أن نخرج بالاهداف المطروحة مثل الادخار او تنظيم النسل أو رفع الانتاج من دائرة الابحاث العميقة والشعارات العامة الى واجهات محددة يفهمها المواطن العادى ويستطيع انجازها .

احترام راى الجماهير والاستماع لكل ما تبديه من ملاحظات والرد عليها أو الاستفادة منها ، واشعار الجماهير ان رايها قد لاقى الاهتمام الجدير به وانها قادرة على أن توجه القيادة .

فخلق روح المشاركة يتحقق من خلال :

تجسيد الهدف فى شكل أعمال محددة يستطيع المواطن العادى ان يفهمها وان ينجزها ، واتاحة كل الفرص الممكنة لانجاح هذا الانجاز . بحيث لا تفسد التعقيدات البيروقراطية العمل الثورى فتشيع اليأس فى الجماهير .

اقتناع الجماهير انها حقا سيدة مصيرها وان كلمتها مسموعة وانها تدير فعلا دولاب الحياة فى بلادها .